

تفسير البحر المحيط

@ 292 @ أبدانهم ولا أحد يمنعهم من العذاب { بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْثَةٌ } أي تفجؤهم . قال ابن عطية { بَلْ * تَأْتِيهِمْ } استدراك مقدر قبله نفي تقديره إن الآيات لا تأتي بحسب اقتراحهم انتهى . والظاهر أن الضمير في { تَأْتِيهِمْ } عائد على النار . وقيل : على الساعة التي تصبرهم إلى العذاب . وقيل : على العقوبة . وقال الزمخشري : في عود الضمير إلى النار أو إلى الوعد لأنه في معنى النار وهي التي وعدوها ، أو على تأويل العدة والموعدة أو إلى الحين لأنه في معنى الساعة أو إلى البعثة انتهى
وقرأ الأعمش بل يأتهم بالياء بغة بفتح الغين فيبتهتهم بالياء والضمير عائد إلى الوعد أو الحين قاله الزمخشري . وقال أبو الفضل الرازي : لعله جعل النار بمعنى العذاب فذكر ثم ردّها إلى ظاهر اللفظ { وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ } أي يؤخرون عما حل بهم ، ولما تقدم قوله { إِنْ يَنْزَخْذُوكَ إِلَّا هُزُوءًا } سلاه تعالى بأن من تقدمه من الرسل وقع من أممهم الاستهزاء بهم ، وأن ثمرة استهزائهم جنوها هلاكاً وعقاباً في الدنيا والآخرة ، فكذاك حال هؤلاء المستهزئين . وتقدم تفسير مثل هذه الآية في الأنعام
ثم أمره تعالى أن يسألهم من الذي يحفظكم في أوقاتكم من بأس الله أي لا أحد يحفظكم منه ، وهو استفهام تقرير وتوبيخ . وفي آخر الكلام تقدير محذوف كأنه ليس لهم مانع ولا كالداء ، وعلى هذا النفي تركيب بل في قوله { بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ } قاله ابن عطية . وقال الزمخشري : بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالداء وصلحوا للسؤال عنه ، والمراد أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالداء ثم بيّن أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم انتهى . وقرأ أبو جعفر والزهري وشيبة : يكلؤكم بضمه خفيفة من غير همز . وحكى الكسائي والفراء يكلؤكم بفتح اللام وإسكان الواو
{ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ } بمعنى بل ، والهمزة كأنه قيل بل ألهم آلهة فأضرب ثم استفهم { تَمْنَعُهُمْ } من العذاب . وقال الحوفي { مِّنْ دُونِنَا } متعلق بتمنعهم انتهى . قيل : والمعنى ألهم آلهة تجعلهم في منعة وعز من أن ينالهم مكروه من جهننا . وقال ابن عباس : في الكلام تقديم وتأخير ، تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم تقول : منعت دونه كفت إذاه فمن دوننا هو من صلة { ءَالِهَةٌ } أي أم لهم آلهة دوننا أو من صلة { تَمْنَعُهُمْ } أي { أَمْ لَهُمْ } مانع من سوانا . ثم استأنف الإخبار عن آلهتهم فبيّن أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ؟

وقال ابن عباس { يُضَاهَوْنَ } يمنعون . وقال مجاهد : ينصرون . وقال قتادة : لا يصحبون من إلا بخير . وقال الشاعر : % (ينادي بأعلى صوته متعوذا % .
ليصحب منا والرماح دوان .
%)

وقال مجاهد : يحفظون . وقال السدّي : لا يصحبهم من الملائكة من يدفع عنهم ، والظاهر عود الضمير في { وَلاَهُمْ } على الأصنام وهو قول قتادة . وقيل : على الكفار وهو قول ابن عباس ، وفي التحرير مدار هذه الكلمة يعني { يُصْحَبُونَ } على معنيين أحدهما أنه من صحب يصحب ، والثاني من الإصحاب أصحاب الرجل منعه من الآفات .